المليون الأول

بقلم

أحمد عبد السلام البقالي

وضعتْ حفصةُ الملفَّ أمام رئيسها، ووقفتْ تُفَرِّكُ يديْها، فنظرَ إليها من فوق نظّارته، متسائلاً. فَهَمَسَتْ، مُتَلَعْثِمَةً وجِلَةً من أن ينهرَها بصوته الجهوريِّ المفزعِ:

– ذلك الرجلُ... إنه مازالَ ينتظرُ، منذ الساعة التاسعة صباحًا!

كان العملُ بتوقيتِ رمضانَ متواصلاً حتى الثالثة بعد الظهرِ. وكلما تقدمَ النهارُ زادَ طبعُ رئيسِ المجلسِ البلديِّ عبدُ الله حَشْلاف، سوءاً وصدرُه ضيقًا، لافتقارِ دمه إلى النيكوتين. لم يكنْ صيامُه ولا صلاتُه لله، ولكن للانتخاباتِ القادمةِ!

فسألها بامتعاضٍ:

– ألم أقلْ لك اسأليه، ماذا يريد؟!

– حاولتُ معه ثلاثَ مرَّاتٍ، فكانَ جوابُه أنه يريدُ معكم دقيقتين، يبلِّغكمْ فيها رسالةً على وجهِ السرِّ والاستعجالِ، ويذهبُ.

وسألها عن شكله، فقالت:

– بدا لي رجلاً محترمًا، في حوالي الخمسين، يلبس

جلبابًا أسودَ وعمامةً بيضاءَ حسنةَ التصفيفِ، وله لحيةٌ قصيرةٌ سوداءُ. وتبدو عليه علائمُ النعمةِ.

فقال مُمتعضًا:

ـ لا بدَّ أنهُ أحدُ المتسولينَ المختصِّينَ بجمعيَّاتِ البرِّ والإحسانِ الوهميَّةِ!

فاستاءتْ حفصةُ، في سرِّها، لسوء ظنِّه بشخصٍ لا يعرفُه، ولكلامه غير الإحسانيِّ في الشهرِ المباركِ، فقدْ كانَ لها عطفٌ خاصٌّ على الرجلِ ذي الهندامِ التقليديِّ، لشَبَهِهِ الكبيرِ بوالدِها المتوفَّى، ولوسامتهِ وحيائهِ الطبيعيِّ، فقد كانَ يغُضُّ طرفَه، كلما مرتْ من أمامهِ، أو وقفتْ للتحدثِ إليه. وكانتْ هي امرأةً جميلةً بيضاءَ ممتلئةً في حوالي الثلاثين. وكانَ الرئيسُ حشلافُ قد تآمر على تطليقِها من زوجِها العاطلِ، وراءَ ظهرِها، ووظَّفَها عندهُ ليصبحَ وليَّ نعمتِها.

قالتْ هي مخالفةً له بنعومةٍ:

ـ لا يبدو عليه أنه متسولٌ.

وكان الرئيسُ، فعلاً، مشْغولاً بما أصبحَ يُعرَفُ عنده

بصفقةِ العمرِ التي كرَّسَ لها كلَّ طاقته وخاضَ الانتخاباتِ البلديَّةَ من أجلها. كانَ قد اشترى قطعةَ أرضٍ من حوالي أربعين هكتاراً، بثمنٍ زهيد جداً، أرادَ مالكُها التخلُّصَ منها، لقيامِ مدينةٍ من أكواخِ الخشبِ والصفيحِ عليها، واستحالةِ إفراغها منهم لاستغلالها. وكان موقعُها قد أصبحَ من أحسنِ مواقعِ المدينةِ، بعد أن دخلتِ المدارَ الحضاريَّ وكبرتِ المدينةُ في اتجاهها.

واستعملَ عبدُ الله حشلافُ نفوذَه في المجلسِ البلديِّ، واقتطعَ من أملاكِ المدينةِ قطعةَ أرضٍ بعيدةً، تقعُ على منحدرٍ، لا يصلُها ماءٌ ولا كهرباءُ ولا مجاري... ووزَّعَ الأرضَ على سكانِ مدينةِ الأكواخِ في مهرجانٍ انتخابيٍّ غوغائيٍّ، وخطبَ فيهم واعداً إيَّاهُمْ بشَقِّ الطريقِ، وإدخالِ جميعِ المرافقِ الضروريَّةِ. وأخذَ يضغطُ عليهم للانتقالِ بنشرِ الإشاعاتِ والأراجيفِ، ورشِّ الرشاوي في كلِّ اتجاهٍ معارضٍ، حتى اقتربَ من تنفيذِ حكمِ الإفراغِ بالقوَّةِ!

ولو تمَّتِ الصفقةُ، فسيكونُ مكسبُه أزيدَ من مليونِ

دولارٍ وكان حريصًا على الوصولِ إلى ذلك الرقمِ السحريِّ، وبعدَهُ ستُفتَحُ أبوابُ السماءِ، وتُعبَّدُ الطريقُ لما بعده!

وكسبَ القضيَّةَ ضدَّ سكانِ مدينةِ الأكواخِ المهيضةِ الجناحِ. وتمرَّدَ السكانُ، وقرروا الاعتصامَ بأكواخهم ومقاومةِ الإفراغ بكلِّ وسيلة...

لذلك كان قدومُ هذا الزائرِ الثقيلِ، في هذا الوقتِ بالذاتِ، غيرُ مرغوبٍ فيه بالمرة. فهوَ في حاجةٍ إلى كلِّ دقيقةٍ لإتمامِ الصفقةِ، ما دامتِ الظُروفُ مواتيةً.

ورغمَ ذلكَ، قال لحفصةَ أدخليه، حتَّى يتخلَّصَ من هذهِ الذبابةِ السوداءِ التي تَزِنُّ في أُذنه.

ودخل الرجلَ رافعًا رأسه، فملأ الغرفة برائحةِ عطرٍ شرقيٍّ خفيف، لم يستطعْ الرئيسُ تمييزَه. كان خليطًا بين الخزامى والغاليةِ والعودِ. ولاحظَ أنَّ الرجلَ يحملُ حقيبةَ أوراقٍ من جلدِ التمساحِ الأسودِ اللامعِ، يُثْبِتُ الشِّهابُ الذهبيُّ المطبوعُ عليها أنها ليست تقليداً رخيصًا. ورغم ذلك رفضَ أن ينبهرَ، فلم يغادرْ مقعدَه، ولم يمدَّ يدَه للسلام، ولم يطلب منه

الجلوسَ، فجلسَ هذا على حافةِ الكرسيِّ، وبدأَ الكلامَ دون مقدمة:

– لن آخذَ الكثيرَ من وقتِكُم الثمينِ. وسأدخل مباشرةً، في الموضوعِ. أنا مُرسَلٌ إليكم من "رابطة حُفَّاظ القرآن الكريم بالمملكةِ والعالمِ الإسلاميِّ" وهي رابطةٌ تزيدُ عضويَّتُها، والحمدُ لله، عن مائةِ ألفِ حافظ!

فزمَّ حشلافُ شفتيْه، وقالَ في سِرِّه: «هو ما توقعتُ؛ متسوِّلٌ على النطاقِ الدوليِّ!» فسأله ساخرًا:

– وهلْ لكَ ما يثبتُ ذلك؟

– نعمْ يا سيدي...

وفتحَ حقيبةَ الأوراقِ بعنايةٍ، وأخرجَ منها ظرفًا، سلَّمه إليه، ففتحه هذا، فإذا به رسالةٌ موجهةٌ إليه، بخط «ماكنتوش» أنيق، وبأسلوبٍ رصينٍ كالذي تُكْتَبُ به أوراقُ الاعتمادِ الدبلوماسيةُ، كان موقِّعُها يطلب منه استقبالَ مبعوثِه والاستماعَ إلى ما سيقوله.

وأعادَ الرئيسُ حشلافُ الورقةَ إلى الزائر، وهو ما يزالُ مقتنعًا بأنه متسولٌ:

– نعم...

وبمجرَّد ما بدأ الرجلُ حديثَه، تغيَّرَ موقفُ الرئيس من الاحتقار إلى العداء. قال الزائر:

– جئتكم في موضوع سكانِ "حيِّ العافية"، الحيّ الذي اشتريتُم أرضَه، وتُريدونَ إفراغَها منهم. فقد التجؤوا إلينا، لنرفعَ قضيَّتهمْ إلى قاضي القضاة.

فقاطعه الرئيسُ ثائرَ الأعصاب:

– قاضي القضاه؟! ليسَ في بلدِنا، ولا في أيِّ بلدٍ، قاضي قضاةٍ، منذُ الاستقلالِ! في أيِّ عصر تعيشون؟!

– أنا آسفُ لسوءِ فهمِكم. قاضي القضاةِ عندنا، هو اللهُ تباركَ وتعالى!

فأغمضَ الرئيسُ عينيْه، وابتسم صابراً:

– وكيف تَنْوُونَ أن تفعلوا ذلك؟

فأخرجَ الرجلُ غلافًا وسلمه إليه:

– هذه الرسالةُ تتضمَّنُ جميعَ الإجراءاتِ التي نَتَّبِعُها في مثلِ هذه الأحوالِ. وتناول حشلافُ الرسالةَ متأفِّفًا وقرأ:

«السيد عبدالله حشلاف،

رئيس المجلس البلدي.

السلام عليكم، وبعد، فإنَّ ما تفعلُه بسكان حيِّ العافية ظلمٌ كبيرٌ لهؤلاء المستضعفين. ونحنُ نطلُبُ منكم التراجعَ عنه فوراً، وكتابةَ تَعَهُّدٍ بذلك لمبعوثنا، وإشهادَ الله وأُولي الأمرِ على ذلك. وسوف يجزيكَ اللهُ به خيراً.

"أما إذا أخذتْكَ العزَّةُ بالإثم، ورفضتَ طلبَنا،فإننا نحذرُك غضبَ اللهِ وعقوبَتَهُ العاجلةَ بإهلاكِكَ وإتلافِ أموالكَ وإصابتكَ بمصائبَ لا يستطيعُ أيُّ إنسانٍ أن يكشفَها عنكَ.

كما أنَّنا نحذرُكَ عقوبةَ اللهِ الأخرويةَ التي يعاقبُ بها الظالمينَ أمثالَكَ..."

لم يستطعْ حشلافٌ إتمامَ الرسالةِ. فقدْ غَلَى دمُه، وتوترتْ أعصابُه، وأخذَ يرتعشُ، وقد امتقعَ وجهُهُ، فرمى بالرسالةِ في وجهِ الرجلِ الهادئ صارخًا:

– تُهَدِّدُني في مكتبي، أيها الدجَّالُ المشعوذُ؟! أتعتقدُ أنني أُميٌّ مثلَكَ لأَسقُطَ في هذا الفخِّ البدائيِّ؟!

ووقفَ يصرُخُ في وجهه:

– اخرجْ من هُنَا! اخرجْ، قبلَ أن أرميَ بك في الشارع!

وقفَ الرجلُ، على مَهَلٍ، وكأنَّه كان يتوقَّعُ تلكَ النتيجةَ، وتوجَّه نحوَ البابِ، رافعًا رأسَه كما دخل.

وفي طريقه، مرّ بحفصةَ التي كانتْ تقفُ منْزَعجةً، خلفَ مكتبِها، تفركُ يديْها في حرجٍ، فوضعَ الرسالةَ على مكتبِها، مبتسمًا وقال:

– أرجوكِ أن تُسلِّميه إياها، حين يهدأ.

وخرجَ...

ويبدو أن حشلافَ زاد غضبًا واهتياجًا، بعد أن عاود التفكيرَ في الموضوعِ فخرج من مكتبِه كالثورِ الهائجِ، وتَبِعَ الرجلَ صائحًا:

– تعالَ! تعالَ أيها الدجالُ!

ونظرَ إلى الممرِّ الطويلِ والوحيدِ الذي يمكنُ أن يمُرَّ به الرجلُ، فلم يَرَهُ، فأخذَ يصيحُ بالحرسِ والأعوانِ: «أَرْجِعوا ذلك الرجلَ الملتحيَ حالاً!»

وصعدَ العونُ الذي كان واقفًا في مكانه أسفلَ السُّلَّمِ، وقال مندهشًا: «لم ينزلْ أحدٌ يا سيدي!»

فصاحَ الرئيسُ: «وأينَ ذهبَ؟هل طارَ!؟»

وأثارَ ضجةً بصوته الجهوريِّ المنفعلِ، فانفتحت المكاتبُ، وجرى الناسُ في كلِّ اتجاه بحثًا عن الرجل، دون جدوى. وتوجه حشلافٌ إلى كاتبته:

«وأنتِ، نادي مفوضيةَ الأمن! لابد من القضاءِ على هذه الطفيليات!»

وعاد العونُ من الشارعِ الخالي، ليخبرَ الرئيسَ بأنه لم يرَ أحدًا أو شيئًا يتحركُ! فصبَّ عليه شواظَ غضبه، وخرجَ إلى بابِ مكتبه، حيثُ يسمعُه جميعُ موظفي المجلس، وأرسلَ عليهم سيلاً من الشتائم والاتهامات بالتواطؤِ والارتشاءِ والخوفِ من السَّحَرةِ والمشعوذين! وهدّدَ وتَوعَّدَ بتنظيفِ المؤسسةِ منهم! وعاد إلى مكتبه، وصفقَ البابَ وراءه، وعادتْ حفصةُ إلى مكتبها، ترتعشُ، وتقرأُ في سرِّها، المعوذتين!

ووقعتْ عيناها على الرسالةِ التي أثارتْ كلَّ هذه العاصفةِ،

فمدَّت إليها يداً مرتعشةً، وأخذتْ تقرؤها وعينُها على الباب.

ونزلتْ الرسالةُ برداً وسلاماً على قلبها، فقدْ كانتْ أفاعيلُ حشلافٍ ومنكراتُه تمرُّ على مكتبِها دون أن تستطيعَ تغييرها إلا بأضعفِ الإيمان!

* * *

وقضى رئيسُ المجلس، عبدُ الله حشلافُ، الأيامَ الأولى من الأسبوعِ المتَبَقِّي لليلةِ القدرِ مشوشَ البال، يحاولُ، عبثًا، أن يطردَ من ذهنه صورةَ الرجلِ المعمَّمِ، ذي الجلبابِ الأسودِ والنظراتِ المُتَعَجْرِفةِ. وكلما اقتربتِ الليلةُ المباركةُ، تفاقمَ قلقُه بالنهارِ، وتحوَّلَ إلى كوابيسَ رهيبةٍ بالليلِ... وتمنى لو أنه استطاعَ السيطرةَ على أعصابه، وعاملَ الرجلَ معاملتَه لحالةٍ عقليَّةٍ شاذةٍ، وأخرجَه من مكتبه، راضيًا، بوعدٍ كاذبٍ! ويستعيدُ المشهدَ في ذهنه فيرى أن الرجلَ كان مطمئنًا إلى صدقِ رسالته، لدرجةِ الغرور! وأنه جاءَ ليستفزَّه ويثيرَ أعصابَه عمداً، ولم يتركْ له مجالاً للمساومةِ أو التراضي أو التنازل، محفوظَ الكرامةِ وماءِ الوجه!

* * *

وفي ليلةِ القدرِ، لبسَ الأبيضَ وتطيَّبَ وذهبَ لصلاةِ العشاءِ والتراويحِ مع الوالي في المسجدِ الأعظمِ، بعاصمةِ الإقليم. ولم يكنْ يصلّي لله، بل كانَ يصَلّي، كما يقولُ المثلُ الشعبيُّ «صلاةُ القُيَّادْ، الجُمَعُ والأعيادْ!»

ودخلَ المسجدَ من البوابةِ الرئيسيةِ في موكبِ الوالي. ومن بين الجلابيبِ البيضاءِ، لاح له جلبابٌ أسودُ، فإذا هو صاحبهُ، نذير الشؤمِ، كما كان يسميه، في سرِّه. كان يلتقطُ بَلْغَتَه من أحد الرفوفِ ليخرجَ، وينْظُرُ إلى حشلاف بابتسامةٍ غامضةٍ، ويتوجَّهُ نحوَ الباب، وكأنه يقولُ: «إذا دَخلَتِ الشياطينُ خرجت الملائكةُ!»

وقبيلَ منتصفِ الليلِ غادرَ حشلافٌ المسجدَ، مع حاشيةِ الوالي. ومشى معه إلى سيارته، حيثُ أخذَ معه موعداً لتوقيعِ صفقةِ تبادُلِ الأرضِ في اليومِ الموالي. وودَّعَهُ وركبَ سيارتَه، وانطلقَ يصفِّرُ سعيداً بمليونه الأول!

وبعد حوالي عشرين دقيقةً من السير في طريقِ الغابة

الكثيفةِ المُلْتَوية، وفي ظلامِ محاقٍ قَمَريٍّ كامل، أحسَّ، فجأةً، بالخوف. فقدْ كان جبانًا بطبعه، لا يسافرُ بالليل،إلا مع سائقٍ قويٍّ شجاع.

وأحسَّ بحركةٍ خفيفةٍ في المقعدِ الخلفيِّ، فدقَّ قلبُه بعنف، وأمسكَ بالعجلةِ بيديْنِ مُتَشَنِّجَتَيْنِ، ورفعَ قدمَه عن مداسِ البنزين، ونظرَ في المرآةِ إلى خلف، فخُيِّلَ إليه أنه رأى بزاويةِ عينه وجهَ الرجلِ المُعَمَّمِ، فداسَ المِكْبَحَ بقوةٍ، والتفتَ، فإذا المقعدُ خالٍ تمامًا، وإذا صوتُ اصطدامٍ واحتكاكٍ يملأ سمعَهُ، ويُفْقِدُه الوعيَ!

* * *

وحينَ أفاقَ، عرفَ قبلَ أن يفتحَ عينيْه، أنه في مستشفى. كانتْ روائحُ الأدويةِ وموادُّ التعقيمِ تملأُ خياشيمَه. وترامى إلى سمعِه صوتُ رجلٍ يقولُ لشخصٍ آخرَ ما معناه، إنَّ الطبيبَ الجرَّاحَ سيُضْطَرُّ إلى بترِ يديه، نظرًا لأنهما انْسَحَقَتَا وراءَ الجبرَ! وعلم من حديث الرجلين، أنه انْحَرَفَ عن الطريقِ، دون سببٍ ظاهرٍ، ودخلَ تحتَ فرعِ شجرةٍ مائلةٍ، فانكسرتْ زجاجةُ سيارتِه

الأماميةُ، وانسحقتْ يداه، ولا يُنْتَظَرُ إنقاذُهما إلا بمعجزة!

حاولَ حشلافُ تحريكَ يديه، فوجدَهما مربوطتين بسيرٍ عريضٍ إلى السريرِ، وغاضَ في نفسِه كلُّ أملٍ في أن يكونَ الرجلان يتحدثانِ عن أحدٍ غيرِه. وفاضتْ عيناه بدمعٍ غزيرٍ فانتبهَ الطبيبُ المتحدثُ إليه، وعضَّ على شفتِه السُّفْلَى، حينَ أحسَّ بأنه ارتكب خطأً بظنِّه أن الرجلَ فاقدُ الوعي، وتحدثَ إلى الوالي عن حالتِه بمسمعٍ منه...

وانحنى الوالي على حشلافٍ، يواسيه ويقلِّلُ من شأنِ الحادثةِ. وحتى يُشْعِرَه بأنَّ كلَّ شيءٍ على ما يُرام، قالَ له بأنَّهُ سيبعثُ إليه بوثائقِ الأرضِ، ليوقِّعَها في فراشِه. فقال المريضُ خارجًا من سَكْرةِ المخدِّر:

– لا، يا سعادةَ الوالي، لم تعدْ لي رغبةٌ في تلك الصفقة المشؤومةِ! أرجوكم أن تُلْغُوا جميعَ الإجراءاتِ، وتشهدوا عليَّ بأنني تنازلتُ عن الأرضِ لساكنيها، وتُبلِّغُوهم ذلكَ، اليومَ، إذا أمكنَ!

واستغربَ الوالي مما سمعَ، وردَّه إلى ضعفِ تفكيرِ الرجلِ،

بسببِ الحادثِ والمخدِّرِ، فلم يَخْطُرْ لهُ أن يتنازلَ مثلُهُ عن صفقةٍ كان مستعداً أن يقتلَ أو يبيعَ روحَهُ للشيطانِ في سبيلها!

وابتسمَ حشلافُ في وجهِ الوالي ابتسامةَ الفاهمِ لما يدورُ في ذهنِه، وقال:

– ليسَ الأمرُ كما تظنون. أنا فعلاً لم أعدْ في حاجةٍ إلى مالٍ! فلم تبقَ لي حتى يدٌ لعدِّه أو صرفِه أو توقيعِ أوراقِ الصفقةِ! لِنَقُلْ إنه صدقةٌ في هذه الليلةِ المباركةِ...

* * *

وباتَ ليلتَه، لا يخرجُ من كابوسٍ إلا ليدخلَ في آخر... باتَ يحلمُ بجميعِ الأيْدي المبتورةِ التي رآها في حياتِه، منذ صباهِ الباكرِ. خصوصاً ما كان يسْتَعْرِضُه منها المتسوِّلون على المارَّةِ لاسْتِدْرارِ العطفِ. ورأى نفسَه واحداً منهم يمدُّ يديه المبتورتين، معًا، ليستدرَّ عطفًا مُضاعفًا...

مشهدٌ واحدٌ كان يُرْهِبُه أكثرَ من غيرِه، في تلك الكوابيسِ المتكررةِ. وكلما حاولَ طردَه من مخيِّلتِه عاد أقوى وأكثرَ دمويَّةً مما كان! كان يرى يديه الجميلتين القويَّتين، كَيَدَيْ عازفِ بيانو كبيرٍ، مشدودتين إلى وَضَمِ جزارٍ في ساحةٍ عموميَّةٍ،

وسطَ مدينةِ الصفيحِ التي اشترى أرضَها، وقد اجتمعَ سُكانُها جميعًا للتفرُّج على عمليةِ القِصاص. وصعد المنصةَ نفسُ الرجلِ ذي العمامةِ البيضاءِ والجلبابِ الأسود، ورتَّلَ في البوقِ، بصوتٍ قويٍّ رخيم، الآيتين الكريمتين: ﴿**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ**﴾ والآية: ﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ ثم تقدم الجزارُ بساطوره الكبيرِ اللامعِ ففصلَ اليدَ الأولى، بضربةٍ واحدةٍ، واهْتَزَّت الساحةُ، مُكَبِّرَةً ومُهَلِّلةً، وزغردت النساءُ! وفَصَلَ الجزارُ اليدَ الثانية، فعادَ التكبيرُ والزغاريدُ والهتافُ بحياة العدلِ الإلهي، وسُقُوطِ الطاغية! وتكررَ الكابوسُ ثلاثَ مراتٍ. وبعدها لم يستطعِ العودةَ إلى النوم. وكانتْ زوجتُه تستيقظُ مذعورةً، مع كلِّ استغاثةٍ باكيةٍ يُطْلِقُها زوْجُهَا بعد نزولِ الساطورِ وسُقوطِ اليد! كان صُراخُه يمزقُ قلبَها. فأشعلت النورَ، وجلستْ إلى جانبه، تمسحُ عرقَهُ، وتهوِّن عليه. فأدناها منه، وقال:

«اسمعي، يا راضيةُ، إنَّهم يريدونَ قَطْعَ يَدَيَّ معًا، في هذا المستشفى!»

وحين حاولتِ التكذيبَ، ألْغَى كلامَها بإشارةٍ من عينيهِ قائلاً: «إنني سمعتُ كبيرَ الجراحين بنفسه يقولُها للوالي. فلا تتركيهمْ يفعلون ذلكَ، مهما تَكُنِ الأسبابُ! أنا أُفَضِّلُ الموتَ، على الحياةِ بلا يدين!»

وبكتِ الزوجةُ الصالحةُ. فسقطتْ دمعةٌ على المصحفِ المفتوحِ في حِجْرها، فمسحتْها وقبَّلتِ المصحفَ وطوتْه ووضعتْه تحتَ وسادته قائلة: «لن يقطعوا شيئًا بإذن الله! فاشْغَلْ لسانَك بذكرِ الله، وقلبَك بالإيمان والتوبةِ والاستغفار.»

فأخذ يتلو كلَّ ما تعلَّمه في صباه في الكُتَّابِ من آيات وأدعيةٍ، بقلبٍ خاشعٍ، ويرددُ لها: «كان ينبغي أن أُصْغِيَ إلى نصيحتكِ بعدمِ الجَرْيِ وراء تلك الأرض، وسرقتِها من سكانِها الضعفاء!»

وأخذه النومُ، فراحَ في سباتٍ كالإغماء بلا أحلام!

* * *

وفي الصباحِ، أخذوهُ إلى غرفةِ الأشعةِ، لأخذِ صورةٍ أخيرةٍ لليدين، قبلَ البترِ، ونظر الجراحُ إلى الصورةِ، فأخذهُ العجبُ. ووضعَ صورةَ الأمسِ بجانبها، وأخذَ يقارنُ بينهما، وهو لا يكادُ

يصدِّقُ ما يرى. فقد طرأ تحَسُّنٌ على اليدينِ لم يكنْ يَتوقعُه!

ودخلَ عليه الطبيبُ، مديرُ المستشفى، فأحالَه الجراحُ على الصورتين، ليرى بنفسه... واتفقَ الاثنانُ على أنها أولُ حالةٍ يُصَادفانها من نوعها، وأنَّ معجزةً ما حدثتْ! وإذا استمرَّ التحسنُ فسوْفَ يعفيهم من البترِ!

وتردَّدا في إخبارِ المريض بالتحسنِ خَشْيَةَ ارتكاسِ الحالة؛ ولكنهما فضلا إخبارَه، لرفعِ معناوياته التي لا شكَّ ستساعدُ على التعجيلِ بالشفاءِ.

وفعلاً، شُفيتْ يَداه تمامًا، فاستقالَ من رئاسةِ المجلسِ، وهجرَ السياسةَ، وقطعَ صلاته بجميعِ ذئابِ جمعِ المالِ الحرامِ والإثراء السريع. وانقطع إلى مزرعته وأسرته.

فسبحان من يحيي العظامَ وهي رميم.